بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الثاني عشر **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة لقمان**

التاريخ:2021\9\ 21م **كتبه: عبدالله ضيف الستري البحراني**

في الدرس السابق بحثنا عن الآية الرابعة، وتوقفنا عند محطات ثلاث، المحطة الأولى: أن الله سبحانه وتعالى ذكر للمحسنين صفتين، إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وأما الإيقان بالآخرة فلم يذكر لعنوان أنه صفة، بل هو الداعي لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

محطة المحطة الثانية: بحثنا عن السبب في تخصيص إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة في الذكر.

المحطة الثالثة: رفعنا التنافي بين السورة مكية والحديث فيها عن إتيان الزكاة، مع أن إتيان الزكاة قد شرع في المدينة المنورة.

المحطة الرابعة: التي نتعرض لها اليوم، هو في الواقع يرجع إلى تدقيق أكثر وأدق في مسألة الجمع بين إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، بما أن الحديث عن صفات المحسنين، فلابد أن ينطبق الإحسان على كلا الفعلين فإقامة الصلاة إحسان إلى النفس، وإيتاء الزكاة إحسان إلى الغير، فهؤلاء الأشخاص الذين يمدحون في هذه السورة المباركة هؤلاء ريعهم وعطائهم وخيرهم وجودهم وكرمهم لا يقتصر على ذواتهم وعلى أنفسهم، وإنما هذا الخير والريع يتجاوزهم إلى الآخرين وإلى سائر الناس، وإقامة الصلاة التي تكررت في القرآن الكريم، ويظهر من المفسرين العامة والخاصة أن قولنا أن فلان صلى يغاير قولنا فلان أقام الصلاة، فإقامة الصلاة مغايرة لفعل الصلاة، فكل من يتوجه إلى القبلة ويقوم بالأفعال والأقوال المعينة يصدق عليه بأنه فعل الصلاة، ولا يصدق عليه أنه أقام الصلاة، إقامة الصلاة هي أن تقام وتفعل الصلاة بتمام شرائطها وكيفياتها سواء شرائط الصحة أم شرائط القبول، فيوجد فرق بين شرط الصحة وشرط القبول، مثلاً: من صلى في آخر الوقت وبشكل سريع يصدق عليه أنه أدى الصلاة وتسقط عنه الإعادة والقضاء، ولكن غير معلوم أن هذه الصلاة مقبولة، ولذا ورد في بعض الأخبار التعبير عن إقامة الصلاة هكذا، قوله عز وجل: ﴿وَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ قَالَ الْإِمَامُ

ع ثُمَّ وَصَفَهُمْ بَعْدَ [ذَلِكَ] فَقَالَ وَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ يَعْنِي بِإِتْمَامِ رُكُوعِهَا وَ سُجُودِهَا، وَ حِفْظِ مَوَاقِيتِهَا وَ حُدُودِهَا، وَ صِيَانَتِهَا عَمَّا يُفْسِدُهَا وَ يَنْقُضُهَا[1].[2]

وبحديث موثق رواه الشيخ في التهذيب، وَعَنْهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ وُهَيْبِ بْنِ حَفْصٍ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لَوْ كَانَ عَلَى بَابِ دَارِ أَحَدِكُمْ نَهَرٌ فَاغْتَسَلَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْهُ خَمْسَ مَرَّاتٍ أَكَانَ يَبْقَى فِي جَسَدِهِ مِنَ الدَّرَنِ شَيْءٌ قُلْنَا لَا قَالَ فَإِنَّ مَثَلَ الصَّلَاةِ كَمَثَلِ النَّهَرِ الْجَارِي كُلَّمَا صَلَّى صَلَاةً كَفَّرَتْ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الذُّنُوبِ.[3]

إشارة إلى الصلاة الكاملة المقامة، فالمتحصل أن هذه الآية الشريفة بكثير من الآيات جمعت بين إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة لوجوه:

الوجه الأول: ما ذكرناه في البحث السابق، من أن الأول يشير إلى عبودية الإنسان لربه، والثاني يشير إلى علاقته مع خلق الله سبحانه وتعالى، العبودية والعاطفة على الآخرين.

الوجه الثاني: أن إقامة الصلاة تمثل إحساناً إلى الذات، وإيتاء الزكاة يمثل الإحسان إلى الغير.

الوجه الثالث: أن إقامة الصلاة عبارة عن خلوة بين الحبيب ومحبوبه، بين الأنيس وأنيسه، بين العاشق والمعشوق، وإيتاء الزكاة عبارة عن حالة بموجبها يخرج الإنسان من قلبه ما ينفره عن حبيبه وعن معشوقه، من خلال ما يدوس فيه من عملية الإعطاء والإتيان على استعلاء نفسه وشح ذاته، فحينئذ يكون بين هذين الفعلين تمام التناسب والانسجام؛ لأن الصلاة إذا كانت تمثل العلاقة الحبيب وحبيبه، هذه العلاقة لا تكون متكاملة إلا إذا كانت متبادلة، قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[4] وإذا كان حب من طرف واحد، وأهم شرط في المحبة المتبادلة أن يخرج الحبيب عن ذاته تلك الصفات التي تبعد عنه الحبيب الآخر، ولا شك أن شح الذات واستعداد النفس مما يبعدنا عن الله تبارك وتعالى، فبالتالي لا تكون المحبة متبادلة ولا تكون حقيقية.

---

[1] عنه البحار: 84- 231 صدر ح 5، و فيه(كما في س، ص): يفسدها أو ينقصها.
[2] التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص: 73
[3] تهذيب الأحكام ج 2 ص 237
[4] آل عمران 31

وأهمية ذكر الصلاة في مثل هذه الآيات لا ينبغي أن تخفى على أحد، فإنها من جهة عمود الدين، من جهة هي العلاقة بين عبده وربه، من جهة تحمل كل معاني التوحيد، ليس مجرد التوحيد النظري، بل حتى التوحيد الأفعالي.

مما يروى أن رجلاً جاء من إلى أحد الأمراء يطلب حاجة، فبقي على بابه أياماً، بالأخير رق له قلب الحاجب فأدخله، ودخل وكان الأمير في حال الصلاة رافعاً يديه يطلب من المولى، فرجع هذا الأعرابي، قال له الحاجب بسرعة، قال: نعم، انقضت حاجتي فإني ذاهب إلى من لم يطلب الأمير منه حاجته.

هذا معنى التوحيد الحقيقي، الوحيد في الاستعانة، التوحيد في الدعاء وفي الطلب، هذا كله تحمله الصلاة، يعني عندما نقرأ سورة الفاتحة، ونلاحظ أن العبد يبدأ مع الله سبحانه وتعالى على أساس أنه ذات غائبة عنه، يقول: بسم الله، ولم يقل: باسمك، على أساس أنه شيء غائب، ثم يترقى هذا العبد فيحضر بخشوع قلب في محضره فيخاطبه، فيقول: إياك نعبد، ولم يقل: الله نعبد أو نعبد الله، وهكذا.

هذه المعاني هي التي جعلت الباري سبحانه وتعالى يقول للبشرية أنكم إذا أردتم الوصول إلى حاجاتكم فعليكم أن تستعينوا بالصلاة، قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[5] وفي آية أخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[6] لأن هذه الصلاة هي التي تربط الإنسان بالقوى العظمى، نلاحظ أن الدول الضعيفة والصغيرة تلجأ إلى دولة العظمى، وحتى عند العرب قديماً القبيلة الصغيرة أو العشيرة الصغيرة أو العائلة تكون موالية لقبيلة كبيرة لكي تحاميها وتدافع عنها، هذا طبيعة الإنسان، والقوى العظمى في الوجود هو الله سبحانه وتعالى، ولكي نلجأ إليه، كما أننا لكي نلجأ إلى قبيلة أو عشيرة لا بد أن نحسّن علاقتنا بها، فنمدها بالهدايا والتزلف وما شابه ذلك، لكي نستفيد من هذه القوى العظمى المنحصرة في الوجود، فلابد أن نحسن العلاقة بيننا وبين هذه القوى العظمى، وأبرز أسلوب لتحسين هذه العلاقة هو الصلاة، بما فيها من تذلل في مقام العبودية، وخشوع في المحضر الخالق تبارك وتعالى، فحينئذ يمدنا من قوته فتنقضي

[5] البقرة 45
[6] البقرة 153

حاجاتنا، هذا معنى الاستعانة بالصلاة، ولأجل ذلك ورد في بعض الأخبار ما هو مضمونه، أن العبد يؤخر صلاته فترفعها الملائكة، فيقول الباري تبارك وتعالى: لماذا أخّر عبدي صلاته؟ فتقول: كان لديه حاجة يريد أن يقضيها، فيقول الباري تبارك وتعالى: أولم يعلم أن حاجته بيدي. هذا معنى واستعن.

إذن هذا التحديد لإقامة الصلاة كصفة للمتقين في سورة البقرة، وكصفة للمحسنين في هذه السورة، وكذلك في كثير من الآيات، لكون هذا الفعل هو جوهر التدين، وجوهر العبودية لله تعالى، وبما أن التدين ليس تديناً فردياً، لابد أن ينعكس هذا التدين الفردي على المجتمع فيكون الإنسان المصلي مفيداً للمجتمع بما تمثله إتيان الزكاة، لديه علاقة بين رب الخلق وسائر الخلق، ولأجل ذلك جمع بين هاتين الصفتين.